

تفسير السعدي

@ 376 @ من ربكم) ^ أي : الخبر الصادق المؤيد بالبراهين ، الذي لا شك فيه ، بوجه من الوجوه ، وهو واصل إليكم من ربكم الذي من أعظم تربيته لكم ، أن أنزل إليكم هذا القرآن ، الذي فيه تبيان لكل شيء ، وفيه من أنواع الأحكام والمطالب الإلهية ، والأخلاق المرضية ، ما فيه أعظم تربية لكم ، وإحسان منه إليكم ، فقد تبين الرشد من الغي ، ولم يبق لأحد شبهة . ^ (فمن اهتدى) ^ بهدي الله بأن علم الحق وتفهمه ، وآثره على غيره ^ (فإنما يهتدي لنفسه) ^ والله تعالى غني عن عباده ، وإنما ثمرة أعمالهم ، راجعة إليهم . ^ (ومن ضل) ^ عن الهدى بأن أعرض عن العلم بالحق ، أو عن العمل به ، ^ (فإنما يضل عليها) ^ ولا يضر الله شيئا ، فلا يضر إلا نفسه . ^ (وما أنا عليكم بوكيل) ^ فأحفظ أعمالكم وأحاسبكم عليها ، وإنما أنا لكم نذير مبين ، والله عليكم وكيل . فانظروا لأنفسكم ما دتم في مدة الإمهال . ^ (واتبع) ! 2 2 ! (ما يوحى إليك) ^ علما ، وعملا ، وحالا ، ودعوة إليه ، ^ (واصبر) ^ على ذلك ، فإن هذا أعلى أنواع الصبر ، وإن عاقبته حميدة ، فلا تكسل ، ولا تضجر ، بل دم على ذلك واثبت ، ^ (حتى يحكم الله) ^ بينك وبين من كذبك ^ (وهو خير الحاكمين) ^ فإن حكمه مشتمل على العدل التام ، والقسط الذي يحمد عليه . وقد امتثل صلى الله عليه وسلم أمر ربه ، وثبت على الصراط المستقيم ، حتى أظهر الله دينه على سائر الأديان ، ونصره على أعدائه بالسيف والسنان بعدما نصره الله عليهم ، بالحجة والبرهان . فالحمد ، والثناء الحسن ، كما ينبغي لجلاله ، وعظمته ، وكماله ، وسعة إحسانه . تم تفسير سورة يونس والحمد لله رب العالمين . سورة هود ^ (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير * ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير * وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير * إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير) ^ يقول تعالى : هذا ^ (كتاب) ^ عظيم ، ونزل كريم ، ^ (أحكمت آياته) ^ أي : أتقنت وأحسنمت ، صادقة أخبارها ، عادلة أوامرها ونواهيها ، فصيحة ألفاظه بهية معانيه . ^ (ثم فصلت) ^ أي : ميزت ، وبينت بيانا في أعلى أنواع البيان ، ^ (من لدن حكيم) ^ يضع الأشياء مواضعها ، وينزلها منازلها ، لا يأمر ، ولا ينهى ، إلا بما تقتضيه حكمته ، ^ (خبير) ^ مطلع على الظواهر والبواطن . فإذا كان إحكامه وتفصيله من عند الله الحكيم الخبير ، فلا تسأل بعد هذا عن عظمته وجلالته واشتماله على كمال الحكمة ، وسعة الرحمة . وإنما أنزل الله كتابه لأجل ^ (ألا تعبدوا إلا الله) ^ أي : لأجل إخلاص الدين كله لله ، وأن لا يشرك به أحد من خلقه . ^

إنني لكم) ! 2 2 ! (منه) ^ أي : من ا ربكم ^ (نذير) ^ لمن تجرأ على المعاصي ،
بعقاب الدنيا والآخرة ، ^ (وبشير) ^ للمطيعين ، بثواب الدنيا والآخرة . ^ (وأن
استغفروا ربكم) ^ عن ما صدر منكم من الذنوب ^ (ثم توبوا إليه) ^ فيما تستقبلون من
أعماركم بالرجوع إليه ، بالإنبابة والرجوع عما يكرهه ا إلى ما يحبه ويرضاه . ثم ذكر ما
يترتب على الاستغفار والتوبة فقال : ^ (يمتعكم متاعا حسنا) ^ أي : يعطيكم من رزقه ما
تتمتعون به وتنتفعون . ^ (إلى أجل مسمى) ^ أي : إلى وقت وفاتكم ^ (ويؤت) ! 2
(كل ذي فضل فضله) ^ أي : يعطي أهل الإحسان والبر من فضله وبره ، ما هو جزاء لإحسانهم ،
من حصول ما يحبون ، ودفع ما يكرهون . ^ (وإن تولوا) ^ عن ما دعوتكم إليه ، بل أعرضتم
عنه ، وربما كذبتكم به ^ (فإنني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) ^ وهو يوم القيامة ، الذي
يجمع ا فيه الأولين والآخرين . ^ (إلى ا مرجعكم) ^ ليجازيهم بأعمالهم ، إن خيرا فخير
، وإن شرا فشر . وفي قوله : ^ (وهو على كل شيء قدير) ^ كالدليل على إحياء ا الموتى
، فإنه على كل شيء قدير ، ومن جملة الأشياء إحياء الموتى ، وقد أخبر بذلك وهو أصدق
القائلين ، فيجب وقوع ذلك عقلا ونقلا . ^ (ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين
يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور) ^ يخبر تعالى عن جهل
المشركين ، وشدة ضلالهم أنهم ^ (يثنون صدورهم) ^ أي : يميلونها ^ (ليستخفوا منه) ^
أي : من ا ، فتقع صدورهم